طوارق الهقار: دراسة مقارنة بين كتاب "في قلب الهقار الغامض" لإيميل ستينلبار أوبرلين والسياحة في الصحراء، رحلة إلى الهقار لايمانويل قريفين

Hoggar Tuareg A comparative Study between The Book'In the Heart of the Mysterious Hoggar' by Emile Steinilber-Oberlin and tourism in the desert, A journey to the Hoggar by Emmanuel Grevin

- آمال هاشمي. أستاذة محاضرة -أ- جامعة أحمد بن بلة، وهران. hachemi_a@ymail.com

تاريخ الاستلام: ..05./01./2024 - تاريخ القبول: ..09./05./2024- تاريخ النشر: ..01./11./2024

ملخص: مع نهاية القرن 19م وبداية القرن 20 م، عرفت منطقة الهقار توافد العديد من الرحالة والمستكشفين العسكريين والمدنيين، الذين حرروا تقارير كثيرة وألفوا كتبا تنوعت مواضيعها من جغرافية وطبوغرافية وإثنوغرافية، وكان **هنري دوفريي** أول مغامر زار بلاد الطوارق وألف كتابه المشهور والمثير" طوارق الشمال" ، والذي جعل منطقة الهقار تستقطب الكثير من الباحثين والرحالة من كل أنحاء العالم، وكان من بينهم الكاتبان **أوبرلين وقريفين**، النموذجان البارزان اللذان أردنا من خلال مؤلفيهما أن نسلط الضوء على بلاد الطوارق، وذلك من أجل استنطاق ما جاء فيهما من معارف ومعلومات قيمة، للقيام بدراسة مقارنة بين الأول وهو: صحفي قدم لنا روبورتاجا وثائقيا بعد زياراته المتعددة لمخيمات قبائل الطوارق، وبين الثاني الذي كان يعمل في مطبعة بفرنسا، وقد قام برحلة سياحية، عرفنا -

من خلالها- على أهم المعالم الجغرافية والأحداث التاريخية التي ميزت بلاد الهقار.

كلمات مفتاحية: الطوارق، الهقار، القوافل، السياحة.

Abstract:

At the end of the 19th Century and the beginning of the 20th Century, the region of ElHoggar witnessed the arrival of many travellers and military and civilians explorers who produced many reports and books covering a wide range of topics such as geography, topography and ethnography Henri Duveyrier was the first adventurer to visit the land of the Tuareg and therefore wrote his famous and exacting book " The Tuareg of Ahaggar" which raised interest in the region and made it attractive to many researchers and travel hers from all over the world. Among them, we know "Oberlin" and "Grevin". Through their works, we aim to shed light on the land of the Tuareg in order to extract valuable knowledge and information so as to conduct a comparative study between, the first who was a journalist who presented a documentary report as a result of his several visits to the tribal camps of the Tuareg, While the second, who worked in a printing press in France, embarked on a tourist journey through which we learned about the most important geographical landmarks and historical events, that characterized the Ahaggar region.

Keywords: **Tuareg, Alhoggar, Caravans, Tourism.**

المقدمة:

من خلال هذه الورقة البحثية، حاولنا تسليط الضوء على منطقة الهقار خلال حقبة زمنية مهمة وهي ثلاثينيات القرن 20م، إذ عرفت الهقار توافد العديد من الشخصيات التي اختلفت وتنوعت تخصصاتهم ومآربهم، ومن بينهم اخترت مصدرين هامين دونهما كل من

أوبرلين(Stinilber-Oberlin) وإيمانويل قريفين(Emmanuel Grevin)، اللذين زارا تمنغاست في نفس الفترة، لكن تناولهما ووصفهما للأحوال وسردهما للأحداث، اختلف باختلاف الأهداف التي سطراها من خلال قيامهما بهذه الرحلات.

وبالتالي فطبيعة الدراسة كما يلاحظ وصفية، وما دفعنا إلى الاهتمام بها:

أولا: معرفة أوجه التباين والتطابق بين هذين المصدرين، بغية تتبع تاريخ الهقار خلال الفترة الاستعمارية.

ثانيا: التعرف على مجريات الأحداث التي مرت بها المنطقة حسب كل مصدر لنتمكن من الخروج باستنتاج عام.

ومن ذلك انطلقنا إلى الإشكاليات الآتية:

- ماهي أوجه الاختلاف بين المصدرين في "قلب الهقار و"رحلة إلى الهقار"؟
- ماهي دواعي وأهداف اختيار الرحالة الفرنسيين لمنطقة الهقار؟
- هل ساهمت هذه الكتابات في التعريف بتاريخ الهقار وساكنيه من الطوارق، وفي إثرائه؟

للإجابة عن ذلك، قسمنا الموضوع إلى قسمين:

- القسم الأول: التعريف بالمصدرين وبمؤلفيهما.
- القسم الثاني: عرضنا المؤلفين إلى دراسة مقارنة.

1. التعريف بالكاتب إيميل أوبرلين (E.Steinilber Oberlin) "في قلب الهقار، الطوارق كما شاهدتهم".

ولد أوبرلين بتاريخ 20 جوان سنة 1878 بباريس، هو سياسي وفيلسوف وكاتب ومترجم، اهتم بعلم الليسانيات، يجهل تاريخ وفاته، درس الحقوق وتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السربون، وخلال مساره المهني، تقلد عدة مناصب سياسية، وفي نهاية شهر جانفي في سنة 1904م عين نائبا لرئيس ديوان مجلس النواب المسير من طرف هنري بريسون **(Henri Brisson)**.

في 1913/01/01 عين عضوا في اللجنة الاستشارية لشؤون السكان الأصليين، اهتم بالثقافة اليابانية، ترجم العديد من الأعمال إلى اللغة الفرنسية، وله عدة مقالات ومؤلفات[1].

2.1.التعريف بالكتاب: "في قلب الهقار: الطوارق كما شاهدتهم".

يحتوي الكتاب على مائتين وتسع وستين صفحة، طبع في خمس وعشرين نسخة من الورق الهولندي المرقم، ونشر بدار النشر "بيار روجي (Pierre Roger)" بباريس سنة 1934م. والكتاب –كما يقول صاحبه- عبارة عن شريط وثائقي، يصف من خلاله "أوبرلين (Oberlin)" الرحلة التي قام بها إلى صحراء الجزائر، حيث انطلق من عين صالح متجها نحو تمنغاست، يظهر من محتوى هذا المؤلف، أنه بمثابة مذكرات ليوميات قضاها "أوبرلين" في مخيمات الطوارق، كما قسم كتابه إلى مقدمة وثلاثة عشر فصلا.

لقد تناول في المقدمة مايلي:

1- Wiki Source, Consulter le 18/11/22 à 20h54.

- طموحه إلى الوصول إلى الكودية التي اعتبرها عالما غريبا، كان سببا في إنبهار كل من: هنري دوفريي (Henri Duveyrier) [2]، وغوتي (Gautier) [3] وغيرهم...
- سفره إلى تمنغاست كان بالحافلة، انطلاقا من الجزائر.
- رغبته الملحة في رؤية الطوارق الذين لم يجدهم، فراح يتساءل: من يكون هؤلاء الطوارق الغرباء الملثمون؟ هل هم أصحاب طباع غريبة؟، هل حافظوا على شجاعتهم وفروسيتهم التي حكي عنها الكثيرون؟

كان الرجل يود العيش والتعامل معهم، والإقامة بينهم في خيامهم، فحقق ما كان يصبو إليه، حيث اختار مخيم الأمينوكال[4]

2- هنري دوفري (Henri Duveyrier): هو رحالة جغرافي ولد سنة 1840م، زار الجزائر وعمره 21سنة، حيث توغل نحو الصحراء وقضى هناك سنتين تحت حماية شيوخ الطوارق، وبعد عودته إلى فرنسا، أهدي له وسام ذهبي من طرف المؤسسة الجغرافية الفرنسية، وفي سنة 1892 توفي منتحرا بطلقة رصاص بباريس، ألف كتبا عدة منها : (voyage dans le pays de Beni Zab, 1859)، ينظر :

- Friedrich Sieburg, Traduit de l'Allemand par Maurice Betz, Visage de la France, Editions Magnard, Paris, 1948, p214.

- Narcisse Faucon, le Livre d'Or de l'Algérie, (1830-1889), Editeur Challamel et Cie, Paris, Tome1, 1889, pp222, 223.

3-غوتي (Gautier): هو Emile Felix ولد في 1864/10/29 بـ Clermont Ferrand كان مديرا مدرسة بمذغشقر (Madagascar)، ثم اتجه إلى صحراء الجزائر في 1915/12/21. ثم نصب كأستاذ بجامعة الجزائر بتاريخ 1918/09/07، ينظر:

- Georges Gorrée, Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld, B, Arthaud, Paris, tome2, 1946, p 274

4- الأمينوكال: الحاكم العام، ويطلق عليه أمين العقال.

أخاموك، الذي كان ينتمي إلى قبيلة "كل إغلا"[5]. ولذلك نبه الكاتب لأمر هو أن القراء لم يتحصلوا على دراسة مماثلة لما كتبه هو بالذات تتحدث عن عادات وتقاليد وطباع سكان الأهقار، بل يلزم ويحث الكثير من السياح على الاحتكاك بهذا المجتمع لمعرفة كل ما يتعلق بأصحابه، وكل ما يتعلق بهم على اختلاف طبقاتهم نبلاء كانوا أو خدما "ايهقارن أو إكلان[6]".

كما أشار الكاتب إلى أن رحلته هذه أهلته إلى تدوين كل ما شاهده وسمعه، بدون أن يغير الأسماء إذ لم يستعمل المستعارة منها.

وفي الأخير وجه شكره وامتنانه لكل من أفاده بمعلومات قيمة وصور ثمينة ساعدته على إتمام دراسته، منهم: "إلي لوبلون (Ely Leblanc)" (عميد كلية الطب بالجزائر) وفولي (H.Foley) (رئيس مصلحة باستور بالجزائر).

5- كل إغلا: هي من أهمّ قبائل الهقار، حاكمهم العام هو أمْنُوكَال وتتكون هذه القبيلة من عائلات نبيلة وهي إنِمْبَا (Inemba) وابُوقْلَنْ (Iboglân) واكَرْمُوين (Ikerremoien) وتَجْيِي–ن-أَقْ- غَلِي (les Tegehe-n-Ag-Ali) وتَجْيِي-نْ-سَقَالْ (les Tegehé-n-sekkel) ولهم –جميعا- الحق في امتلاك الطبل. ينظر:

كِلْ غَلا: لقّبَهم الامغاد بهذا الاسم ومعناه الرجال الذين سعرهم غال، ينظر:

- Henri Lhote, les Touaregs du Hoggar, éditions Payot, Paris, 1955, p225.

6- إكلان: يلقبون بالطَمَاهَقْ إكْلاَنْ (Iklan)، مُفرده أَكْلِي (Akli)، مؤنثه تَاكْلِيتْ (Taklit). وهم زنوج من أصول مختلفة، ينظر:

- Henri Duveyrier, Les Touareg du nord, éditeur Challamel Ainé, Paris, 1864, p339.

شملت هذه الدراسة بعدين: البعد الأول: تمثل في أنها عبارة عن مادة خبرية مهمة، تنوعت بين وصفه للطبيعة بما فيها من وديان ورمال وصخور، وبين الطرقات والممرات في المنطقة.

أما البعد الثاني للدراسة، فقد أخذ شقين هامين؛ الأول إثنوغرافي، والثاني أنتروبلوجي، حيث نجد بأن الكاتب أثناء إقامته مع الطوارق كان غرضه التقصي وتحري كل ماله علاقة بحياة الطوارق من: حواراتهم، ولباسهم، ووجباتهم، وتجمعاتهم، ومناسباتهم، وقصصهم، وأساطيرهم، وأمثالهم، وسهراتهم وأثاثهم، ولوازم حياتهم، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة، تخص حياة الطوارق إلا وتناولها بالبحث، فضلا عن عدم إهماله لأدق الأمور، حتى وإن بدت تافهة، حيث خصص لها صفحات كاملة.

ومن خلال ما قرأناه استطعنا استنباط معلومات كثيرة لا يسعنا الوقت أن نذكرها، من أجل هذا ارتأينا أن نركز على النقاط الأساسية المتمثلة فيما يلي:

بمجرد وصول الكاتب إلى مدينة تمنغاست، تلقى دعوة لزيارة الحاكم "أخاموك أق إيهما" قريب موسى أق أمستان[7]، فلبى الدعوة وتنقل إلى مقر الاستضافة، الذي كان يبعد عن تمنغاست بـ بأربعين كلم

7- موسى أق أمستان: كان من نبلاء وأشراف الطوارق، ولد سنة 1867 عرف بالذكاء، توفي سنة 1920، ينظر:

- Michel Carrouge, Charles de Foucauld, Explorateur Mystique, éditions du Cery, Paris, 1954, p381.

عند أسفل مرتفع أقراقار(Akarakar)، وعند وصوله دخل الخيمة حيث رحب به بحفاوة، إذ وجد جمعا غفيرا من الضيوف في انتظاره، منهم الحاكم العام وعائلته، بالإضافة إلى الشبان الذين لم يكن الرجل يأمنهم، وأثناء تبادل الحديث شعر هذا الأخير بعدم الارتياح، عقب توجيه سؤال لهم، مفاده أين أسلحتكم؟ فأجاب أحدهم: بأن الجيش الفرنسي سَلَبَهُم حريتَهُم وفروسيَتَهم، وقيَّدهم ومنعهم من حماية الطرقات، وتأمين القوافل، وتسلم الضرائب، بهذا يكون قد جردهم من أسلحتهم الفعالة.

هذا الكلام جعل الكاتب يستشرف مستقبل هؤلاء، إذ باستطاعتهم أن ينشئوا حزبا وطنيا يدافعون من خلاله عن حريتهم، و ممتلكاتهم وبالتالي قد يفاجئون فرنسا مستقبلا.

ولذلك أدرك تلك العداوة والبغضاء التي يكنونها في قلوبهم لفرنسا، خاصة بعد هزيمة الطوارق في معركة "تيت" سنة1902، التي كانت بمثابة نهاية حزينة لأمجادهم، معبرين عنها بترادهم عبارة "كان الجو جميلا".

أما بخصوص الأمينوكال، فكان يسرد يومياته، حينما زار الجزائر العاصمة خلال عام 1930، حيث انبهر أمام التراماوي، والقاطرة التي كان بها مغسل لليدين، وهاتف، وآلة للموسيقى، كما أعجب ب "الصينية" الفضية التي أهداه إياها الحاكم العام[8].

8 -E.Steinilber-Oberlin, Au cœur du Hoggar mystérieux, Les touareg tels que je les ai vus, Editions Pierre Roger, Paris, 1940, pp43-44-55-56-57-58 .

أمام ترحاب العائلة، وخاصة زوجة الحاكم "دملة"، التي حضرت الشاي بالنعناع، شعر الكاتب بالراحة والأمان، فتوافد العديد من الضيوف لرؤية هذا الغريب الذي أحضر لهم الهدايا المختلفة، ومن بين الضيوف المرأة "داسين"[9] الشخصية التاريخية الهامة التي أصبحت عجوزا عرجاء[10].

وعمد الرجل على زيارة خيام الطوارق، إذ يقول إنه وجد متعة في التعايش والتعامل معهم وتبادل الزيارات.

كما تردد الرجل على زيارة خيام الطوارق كلما حلت مناسبة: كميلاد طفل، أو سماع قصص تحكيها العجوز "فافة" كل أمسية للأطفال حول تلك النار الهادئة، إذ يعلق الكاتب بأنه قد دون مقالات من خلال سماعه هذه الحكايات النادرة والمشوقة[11].

أو الإنصات بتمعن لوقائع كان يرويها "المرابط محمد الكفيف" الذي كان شاهد عيان على أحداث عديدة جرت عند الطوارق، لذلك كان يستحضر كاتبا خاصا كلفه بتدوين تلك الملاحم (Ansar Ag

9- داسين (Dassine): تدعى داسين أولت يمة كانت فائقة الجمال وهي بنت عم موسى أق امستان، عرفت بقول الشعر وإنشاده، حيث منحت لشارل دوفوكو 1200 بيت شعري، توفيت سنة 1935 ودفنت بتمنغاست ينظر:

- A. Maraval Berthoin, Dassine sultane du Hoggar, Editeurs Fasquelle, Paris, 1951, p16.

-E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp40-50-51.

10-E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp40-50-51.

11-E.Steinilber-Oberlin,op.cit, pp77-81-145-150.

Amder) من حروب مشهورة بين الكونتيين والطوارق، أو القتال الذي دار بين "كل إغلا" [12]و"تيطوق"[13].

ثم انتقل الكاتب لوصف قبيلة الزنوج وهم الملقبون بإكلان، فيذكر الكاتب أن هؤلاء كانوا عبيدا في الأصل، واليوم هم أحرار، وقد بقي الكثير منهم خادما عند أسيادهم، يقدمون لهم خدمات جليلة كحلب الشياه وعلاج الرضع والمرضى وطحن البشنة، كما أن العديد من الإكلان فضلوا البقاء مع أسيادهم النبلاء، ضمانا للأمن وحسن التعايش الذي يوفرونه لهم[14].

والجدير بالذكر أن الكاتب لاحظ بأن الخدم يعاملون معاملة حسنة، ووضعهم هذا جعلهم مستشارين عند النبلاء لا يستطيعون الاستغناء عنهم، إذ أصبح إكلان يتاجرون بأسماء "ايهقارن"، ويقودون قوافلهم التجارية، ومن نماذج ذلك "إكلان شرناش" الذي كان يثق فيه الأمينوكال وهو اليوم يحمل "الطكوبا" متباهيا بها، وحينما يغيب الطوارق أو يسافرون بعيدا، فإنهم يستأمنون خدمهم أبناءهم وممتلكاتهم[15].

12-E.Steinilber-Oberlin,op.cit, pp150-157.

13- قبيلة تيطوق(Taitok) : هي من أهم قبائل الهقار، التي تصنف ضمن النبلاء، وهم من البدو الرحل، الذين كانوا يرعون بين الأهنط (Ahnet) والأيير (Air)، ولم يتعد سكانها 130 شخصا سنة 1908، ينظر:

- Georges Gorrée. Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld, Op.Cit, p 349.

14 -E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp160-162.

15 -E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp161-162-163.

ثم قام الرحالة بزيارة مخيم داق غالي[16] للاطلاع على حياة وطباع ساكنيه من الطوارق، وكان أحد الضباط قد أشار عليه أن يعرج على "أوكسام" وهو شيخ داق غالي الذي وجده "أوبرلان" قاضيا يفصل في المنازعات بين الأهالي. وحقيقة زيارة –أوكسام- بالضبط هي مرافقة هذا الأخيرل"شارل دوفوكولد" [17] في رحلة إلى باريس عندما كان يبلغ من العمر 13 سنة[18].و كان هذا فضولا من الكاتب لمعرفة سر إقامة القس شارل دوفوكولد بتمنغاست.

ثم إن إقامة أوبرلين بمخيم إمغاد "كيل ألوي"(kel oulli) جعلته يكتشف أمورا لم يجدها عند إيهاقران، باعتبار الامغاد هم أكثر مثابرة وجدية، إذ كانوا يهتمون بزراعة الأراضي وتربية المواشي وحلب الشياه وصناعة الجبن[19]، فوجد اختلافا وفرقا شاسعا بينهم وبين النبلاء، وقدم الكاتب انطباعا حول مخيم كل ألوي تعجب فيه من

16- داق غالي: هي عشيرة ذات مكانة محترمة، حيث كان أهلها أصدقاء الأمينوكال ويشاركونه الأعمال والنصائح. ينظر:

- Henri Lhote, Les Touaregs du Hoggar, Op.cit, p 225.

17- شارل دو فوكولد: شارل دو فوكو (Charles de Foucauld): هو قسيس من الآباء البيض، ولد بتاريخ 1858/09/16 بستراسبوغ (Strasbourg)، عاش في بني عباس ما بين 1900 و1904، حيث بنى هناك أول منسك، ثم انتقل إلى تمنغاست سنة 1905م وليستقر فيها إلى أن قتل سنة 1916 من طرف الطوارق، ينظر :

- Georges Gorrée, Op.Cit, pp24-30.

18 -E.Stinilber-Oberlin, op.cit, pp177-178-179-.

19 -Ibid, pp187-188-89-190.

حديثهم "إينولي أق أفاديت"[20] عن المجاعة والجفاف ونقص الأمطار والمياه عكس سهرات "إيهقارن" التي كانت لا تخلو من الضحك واللهو والمرح[21].

وفي الأخير توصل الكاتب إلى أن ايهقارن نبيل بطبعه، لكنه كان يتحصل على الحليب والجبن والبشنة باللجوء إلى كل ألوي، الذين أصبحوا أثرياء ملاكا لأراضي فلاحية شاسعة.

2. التعريف بالمؤلف "إيمانويل قريفين" .

ولد سنة 1880م بفرنسا وتوفي سنة 1948م، كان عاملا في مؤسسة خاصة بالطباعة، ألف العديد من المؤلفات منها: "Djerba lile heureuse et le sud Tunisien"، جربة الجزيرة المسرورة والجنوب التونسي، و"Rivages du grand erg"[22] شاطئ العرق العظيم.

ومن المؤلفات التي دونها ايمانويل قريفين (Emmanuel Grevin) "سياحة إلى الصحراء، سفر إلى الهقار"، وهو عبارة عن كتيب عدد صفحاته مائتين وعشرة صفحة طبع بدار نشر المخزن (Stock) بباريس في 1836/08/02، وقسمه الكاتب إلى عشرين فصلا.

1.2. دراسة المصدر الموسوم ب "رحلة إلى الهقار":

20- إنولي أق أفايدت(Inouli ag Ifadit): هو أحد أعيان فئة كل إلوي، زوجته سخارة (Sakhra)وابنه الأكبر تلاسو(Talasso)، ينظر:

-Ibid, p 186.

21 -Ibid, P175-180-182-187.

22 -wiki pédia consulter le 30-06-2022 à17h40.

المؤلف عبارة عن رحلة سياحية حاول صاحبه -من خلالها- جلب السياح الفرنسيين إلى اكتشاف خبايا الصحراء وخاصة مرتفعات الهقار[23].

- ولوحظ في مقدمة الكتاب: أن الكاتب طرح السؤال نفسه، من هم الطوارق؟

- انضم الكاتب إلى جمعية أصدقاء الصحراء[24] التي نظمت وبرمجت هذه الرحلة والتي كان رئيسها مقيما بالجزائر، وكان يتابع تفاصيل الرحلة عن كثب (Georges Estienne).

- وفرت هذه الجمعية حافلة (S.A.T.T) تابعة للمؤسسة الجزائرية للنقل الاستوائي.

- تسير هذه المؤسسة 9 فنادق منشأة بالأبراج.

- وأطنب الكاتب في الحديث عن التحضيرات والأمتعة والمعدات المخصصة للرحلة إلى تمنغاست.

- الرحلة متواصلة عبر الحافلة التي تتوقف كلما شعر المسافرون بالتعب لطول المسافة.

23 -Emmanuel Grevin, Tourisme au Sahara, voyage au Hoggar, librairie Stock, Paris, 1936, pp9-12.

24-جمعية أصدقاء الصحراء: خلال سنة 1922م ألف الجنيرال مينير مدير الأقاليم الجنوبية بمعية الضابط العسكري نابل الدليل السياحي الخاص بالصحراء وكانا من مؤسسي جمعية أصدقاء الصحراء في شهر أبريل عام 1927م. ينظر:

-Colette Zytnicki, Bienvenue en Algérie coloniale, L'Histoire, mai, 2023, consultée le 30-09-2023 à 3h 40.

وبعد التوقف بغرداية يأتي دور المنيعة(القليعة) التي اعتاد الكاتب زيارتها في سنوات خلت، ولكن هذه السنة سيجد فيها حدائق غناء، وأشجارا مثمرة، وآبارا ارتوازية.

وبعد القليعة حطت الحافلة رحالها بعين صالح، فوجدوا سكانها يحتفلون بعيد الأضحى في أبهى حلة[25]. ورغم صعوبة الطريق وصلت الحافلة إلى تمنغاست فأخذ الكاتب بنصيحة الضابط العسكري: يجب التعامل بود مع الطوارق، حينها التقى الكاتب بفرسان الصحراء، الذين كان ذكر اسمهم بالأمس مخيفا[26]. ولكن اليوم ضعفت عزيمتهم بعدما استولى الجيش الفرنسي على أراضيهم وأملاكهم وعلى قوتهم المهيبة [27].

وعند وصول الكاتب إلى تمنغاست اهتم بوصف شارعها الرئيسي الواسع ومنازلها الفاخرة (الفيلات) دون أن ينسى الحديث عن مستوصف خاص بالأهالي والفندق الصغير الهادئ، ثم أشار إلى منازل الأهالي التي كانت نظيفة ومنظمة بشكل جيد، ثم عرج على المطعم الصغير المريح والمسبح المائي المحاط بالجدران[28].

أما الولوج إلى البرج العسكري فهو مشروط بإحضار رخصة من القائد العسكري وبرفقة الحاجب، ولكن الصعود إلى قمة الأسكريم لا

25 -Emmanuel Grevin, op.cit,pp19-20-56-57.

26 -Ibid, pp80-86-103.

27-Ibid, pp104-105.

28 -Emmanuel Grevin, op.cit, p93-96.

يتم إلا تحت حماية الجيش الفرنسي برفقة المرشدين الطوارق والشعانبة[29].

وكاستنتاج عام لوحظ مايلي:

- رغبة إيمانويل قريفين في الالتقاء بالطوارق لم تكن بالشكل الملح كزميله "أوبرلين"، فإمانويل اكتفى بطرح أسئلة على مترجمه"مولاي"[30]فراح يدون ذلك بطريقة روتينية عن فئاتهم السكانية ولغتهم وخطهم ومعتقداتهم، لكن لا نخفي بأنهما تشابها في بعض النقاط وهي:

- الاطلاع على حياة شارل دوفوكولد واغتياله.

- الاطلاع على حياة "داسين" التي كانت تحيي سهرات الآهال[31].

- الصعود إلى مرتفع الأسكريم وزيارة منسك الراهب فوكولد.

- وفي الأخير توصل الكاتبان إلى أن الطوارق شجعان وأوفياء ومخلصون وأذكياء وكرماء ومضيافون، وأصحاب صبر وتجلد، باستطاعتهم البقاء عدة أسابيع بدون أكل وشرب.

وبالتالي فإن هذين المصدرين قدما لنا دراسات هامة ومفيدة.

29-Ibid, pp96-97

30- المترجم مولاي:كان خوجة عند الأمينوكال، ينظر:

-Ibid, p 118.

31- سهرات الأهال: تلقب بالأهال، وهي سهرات موسيقية تقام في مخيمات الطوارق، بمناسبة الاحتفال بعرس أو الانتصار في غزو، أو الاستعداد لحرب أو قتال، إذ يحضرها الشبان، ذكور وإناث، ومن يقود الفرقة الغنائية، امرأة تعزف آلة الإمزاد، وتغني الأشعار، وتردد بعدها النسوة، ينظر:

- Henri Lhote, les touaregs du Hoggar, Op.Cit, pp 330, 331.

3. نقاط التشابه والاختلاف بين المصدرين:

من خلال دراسة المصدرين لوحظ بأن كليهما كان هدفه الوصول إلى تمنغاست والالتقاء بالطوارق وصعود الأسكريم أين بنى شارل دوفولوكلد منسكه[32]، ففي مؤلفيهما اشترك الكاتبان في نقاط لخصتها في وصف الطوارق وفئاتهم ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم[33]. كما اختلافا في نقاط عديدة أخرى، وذلك نظرا للأهمية التي أولاها كل منهما لدراسته ؛ فأبرلين كان صحفيا وأراد أن يحضر شريطا وثائقيا يكشف-من خلاله- عن تفاصيل حياة الطوارق، أما قريفين فكانت وجهته سياحية إذ ركز كثيرا على وصف المدن الصحراوية التي مر عليها، فمثلا راح يصف سكان عين صالح وهم يحتفلون بعيد الأضحى الذي يعتبر يوم عطلتهم، فوجدهم يتنزهون ويتباهون بالألبسة الحريرية المزركشة بالألوان الزاهية كالأزرق والوردي، وقد علقوا التزيينات بالشوارع، وكل السكان يحتفلون في ساحة القصر، فالرجال يرقصون حاملين البنادق القديمة، والنسوة يزغردن ويضربن الطبول، ورائحة البخور تمتد وتفوح من بعيد[34].

وإضافة إلى وصف المدن، كان الكاتب يركز في كتابه على الحديث عن الأجانب الذين التقى بهم، ومنهم زوجان فرنسيان مصوران، غادرا بسيارتهما متجهين نحو تشاد بعد أن أخذا صورا تذكارية، ويروي أن سيارتهما تعطلت ونفذت مؤونتهما فلم يعد أمامهما إلا أخذ بعض الصور وبيعها للسياح المقيمين بفندق البرج، وكانا

32-Grevin, Op.cit,p p135-136, 140-141.

33-E.Steinilber Obertlin, Op.cit, pp105-109.

34-Grevin, Op.cit, pp55-56.

يضطران غالبا إلى مساعدة أصحاب الفندق في غسل الأواني وترتيب الغرف مقابل أجر زهيد يوفرانه ليتمكنا من العودة إلى الجزائر[35]، دون أن ننسى المصور (Nivelet) الذي وجدوه عند وصولهم إلى الأيسكريم حيث أقام بهذا المكان لمدة تتجاوز 20 يوما[36]،وقد أعجب بالمكان الذي كان يراه مميزا وشاعريا خاصة وأنه يتخيل فيه حركات شارل دوفوكولد، وهو يعيش في عزلة[37] بمنسكه إذ نجد أن أوبرلين يشترك في هذا التصور والحديث عن شارل دوفوكولد الذي كان يسير مشيا على الأقدام من بني عباس إلى المنيعة ومنها إلى تمنغاست، كما تساءل الكاتبان عن داسين المرأة الطارقية التي أحبها الجميع؛ أما أبرلين فقد تمكن من رؤيتها وهي عجوز عرجاء، ولكن قريفين لم تسنح له الفرصة، لأن المرأة كانت قد توفيت، ويشترك الباحثان في وصف ما شاهداه عند الطوارق من حلي ولباس وتمائم لا يتخلى عنها الطارقي في خروجه، فهي تبعد عنه الحسد والعين والجن وتحميه من كل سوء أو أذى.

كما يتفق الرجلان في وصـــف الطوارق بحبهم للهدايا التي من كل زائري تمنغاســت، كالنظارت والبرانيس والدمالج للنســاء والروائح بدون أن ينسى السكر والشاي[38].

-الخاتمة:

35-Ibid, p76-73.

36-Ibid, p179-185.

37-Ibid, p1.

38-E.Steinilber Obertlin, Op.cit, p p49-50.

وفي الأخير أدركنا أهمية المصدرين، فقد قدما لنا دراسة مفيدة حول حياة الطوارق وبيئتهم الشاعرية الساحرة، ونجد أبرلين يتناول بعض النقاط التي تحتاج إلى تعليق ودراسة مقارنة، وكثيرا ما نجد المؤلفين يمدحان الطوارق باعتبارهم أصحاب اللباقة والنبل والاحترام، والهدوء والذكاء والبعض الآخر يصفهم -وخاصة أبرلين- بأنهم طماعين ومحبين للهدايا وفضوليين كثيري الضحك ومتفائلين، وفي بعض المرات يرى في شبابهم حيرة وصمتا وغموضا فلا يأمنهم (أوبرلين)، لكن قريفين لم يجالسهم بكثرة إلا بعض الشهادات التي أدلى بها الضابط العسكري لناحية تمنغاست إذ قال عنهم "يجب التعايش معهم... فبالأمس كان الطارقي يخشى منه، فالطوارق كانوا محاربين يجمعون الضرائب[39] – على قول الفرنسيين- فهم مجاهدون كانوا يدافعون عن أنفسهم وعن ممتلكاتهم، ويحرسون القوافل ويؤمنون الطرق للقوافل[40]"، كما كانوا أوفياء وذوي خبرة بالطرقات والممرات في الصحراء، إذ استعان بهم الفرنسيون في جولاتهم ورحلاتهم واكتشافاتهم، وخاصة عندما

[39]-Grevin, Op.cit, pp98-99.
[40]-Ibid, pp108-109.

كانوا يقصدون وجهتهم المفضلة وهي قمة الأسكريم ذات المياه العذبة.

وككل عاشق للمغامرات، فإن أبرلين كشف لنا عن سر يخفيه، وهو تعلقه بالطوارق الذين وصفهم بالأصدقاء، ويذكر أنه إذا غادر الصحراء فسوف يشتاق إليهم، فقد وجد فيهم طبائع ومعتقدات جعلت قلمه يبدع في الكتابة عنهم.

قائمة المصادروالمراجع:

- A. Maraval Berthoin, Dassine sultane du Hoggar, Editeurs Fasquelle, Paris, 1951.
- Colette Zytnicki, Bienvenue en Algérie coloniale, L'Histoire, mai, 2023, consultée le 30-09-2023 à 3h 40.
- E.Steinilber-Oberlin, Au cœur du Hoggar mystérieux, Les touareg tels que je les ai vus, Editions Pierre Roger, Paris, 1940.
- Henri Duveyrier, Les Touaregs du nord, éditeur Challamel Ainé, Paris, 1864.
- Emmanuel Grevin, Tourisme au Sahara, voyage au Hoggar, librairie Stock, Paris, 1936.
- Friedrich Sieburg, Traduit de l'Allemand par Maurice Betz, Visage de la France, Editions Magnard, Paris, 1948.
- Georges Gorée، Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld,B, Arthaud, Paris, 1946 .
- Léon Lehuraux, Le Conquérant des Oasis Colonel Théodore Pein, Typographie plon, Paris, 1935 .
- Michel Carrouge, Charles de Foucauld, Explorateur mystique, éditions du Cery, Paris, 1954 .
- Narcisse Faucon, le Livre d'Or de l'Algérie, (1830-1889), Editeur Challamel et Cle, Paris, Tome1, 1889.
- wiki pédia consulter le 30-06-2022 à 17h 40.
- Wiki Source, Consulter le 18/11/22 à 20h54.